

# التناص في شعر عماد قطري

قراءة في ديوان  
"عشر نساء يجئن خلف العاصفة"

إبداع  
عماد قطري

obeykandi.com

تتمحور هذه القراءة حول التناص Intertextuality فى شعر عماد قطرى، وبالتحديد فى ديوانه الأخير: عشر نساء يجئن خلف العاصفة (2009م)؛ لعدة أسباب لعل أهمها أن التناص أضفى ظاهرة السنوية نقدية شائعة على ساحة النقد الأدبى<sup>(1)</sup>، كما أنه من أهم العناصر المؤثرة فى جوهر الشعر، ويبرهن على أنه لا انفصام بين التراث والمعاصرة؛ حيث تبدو مهارة الشاعر المعاصر فى تناصه من خلال توظيف النص الموروث لخدمة النص المعاصر، ومن يطلع على هذا الديوان يجد هذا التوظيف جلياً؛ مما يثبت أصالة شاعرنا فى شعره استلهام واضح للموروث.

وصاحب هذا الديوان هو عماد على قطرى، شاعر مصرى ولد بشبراويش فى مركز أجا بمحافظة الدقهلية، وصدر له مسرحية شعرية بعنوان المحاكمة سنة 1999م، وخمسة دواوين هى: عذراً سراييفوسنة 1995م، ويا نيل سنة 1998م، وما بيننا سنة 2003م، والعصافير سنة 2007م، والديوان محل هذه الدراسة سنة 2009م. وعماد عضو نشط فى مجموعة من الروابط والجمعيات الفكرية والأدبية، مثل: اتحاد كتاب مصر، ورابطة النورس للأدباء العرب، ورابطة الأدب الإسلامى العالمية.

وقد نشرت أعمال شاعرنا الإبداعية المتميزة فيما يقرب من خمس عشرة صحيفة وجريدة ما بين المصرية و العربية، مثل: أخبار الأدب والشعب والشعر والبيان وعكاظ والرياض والجزيرة والأدب

الإسلامى والنورس، وقد جذب شعره أنظار بعض النقاد فتناولوه  
بالتحليل النقدى المنهجى.

ومن ثم يمكن عد شاعرنا من أبرز شعراء العربية المعاصرين؛  
فشعره جيد غزير ينشغل بهوم الوطن والأمة؛ فقد عالج كثيراً من  
قضايا الوطن الصغير (مصر) والوطن الكبير (الوطن العربي) والأمة  
الإسلامية، معالجة تنم على وعى فكرى ناضج وحس شعرى مرهف  
وتمكن من الأدوات الإبداعية، وقد سيطر على شعر عماد قطرى روح  
ملئية بالسخرية من الأوضاع المزرية والثورة والحزنا علي ما حل  
بالوطن والأمة.

وتسعى القراءة الراهنة إلى تعرف المواضيع التى استلهم فيها  
شاعرنا التراث ومصادر الثقافة العربية الإسلامية وتناص معها؛ من أجل  
توظيفها لتعميق الدلالة الشعرية تلك المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوطن  
والأمة.

### **مفهوم التناص:**

بداية لابد من تقرير أن مصطلح التناص من المصطلحات  
الحديثة والمعاصرة، بغض النظر عن تشابه بعض ملامحه مع بعض  
المصطلحات فى التراث العربى كالتضمين و الاقتباس والسرقه  
وغيرها، وهو ظاهرة تتمثل في حدوث علاقة معينة بين نصين أو  
مجموعة من النصوص مما يؤثر في طريقة النص المتناص مع نص  
أو نصوص أقدم.<sup>(2)</sup>

وهذا التداخل بين النصن الأول والثانى لا يلغي صوت اللاحق لحساب صوت السابق المتناس معه، فكل صوت من هذه الأصوات سماته وخصوصياته ومن ثم عرّف التناس على أنه اعتماد نص من النصوص على غيره من الشعرية أو النظرية القديمة المعاصرة عربية أو غير عربية مكتوبة أو شفوية، مع وجود صيغة من الصيغ العلائقية والبنوية والتركيبية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين، وقد يكون ذلك عن طريق الاقتباس أو التضمن أو الإشارة، وغير ذلك من مقروء الأديب الثقافى بحيث تمتزج بالنص الأسمى وتذوب فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل.<sup>(3)</sup>

و يمكن القول: إن التناس هو المسئول عن توضيح تطور أنماط النصوص بوصفها أنواعاً من النصوص ذات خصائص نمطية أنموذجية، وقد يكون هذا الاعتماد كبيراً وقد يكون صغيراً.<sup>(4)</sup>

ويعد ميخائيل باختين من أوائل من تعرضوا لمفهوم التناس فى النقد الحديث، وذلك فى كتابه: فلسفة اللغة، غير أنه استعمل مصطلح الحوارية Dialogism للدلالة عليه<sup>(5)</sup>، كما تعد جوليا كريستيفا أول من استخدم مصطلح التناس فى بعض مقالاتها النقدية وعرفته بأنه التفاعل النصى فى نص بعينه؛ حيث يتشكل النص من بنيات فسيفسائية من الاستشهادات، كما أنه امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى؛ أى أن النص عندها فضاء تتقاطع فيه نصوص متعددة، غير أن جوليا كريستيفا اقترحت فى مواضع أخرى من دراساتها مصطلحاً بديلاً عن التناس الذى قد يفهم على أنه دراسة للمصادر، وهذا المصطلح هو التحويل.<sup>(6)</sup>

وقد تعددت تعريفات التناص بعد جوليا كريسطيفا، فهو - على سبيل المثال - عند ريفاتير نسيح عنكبوتى من الوظائف التى تؤلف وتنظم العلاقات بين النص والمنتاص.<sup>(7)</sup> والتناص عند جيرار جينيت هو تلك العلاقة التى تقوم بين نص وآخر يحضران معاً عن طريق الاستشهاد والسرقه والتلميح أو الإيحاء.<sup>(8)</sup>

وتتميز النصوص الشعرية بتوسيع البدالية بحيث يتم فيها إعادة تنظيم الاستراتيجيات من أجل تنفيذ الخطط والمحتوى على سطح النص، بمعنى أن تضام النص الشعرى يحدث جزئياً من خلال المقابلة بتضام أنواع من النصوص وبحسب الأعراف الخاصة بنوع النص.<sup>(9)</sup>

وتبرز ظاهرة التناص بوضوح في كثير من شعر عماد قطرى؛ حيث يستلهم نصوصاً متنوعة من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والنثر العربى والشعر العربى والتراث الشعبى؛ ومن ثم يمكن القول: إنه استند إلى الموروث العربى عند إعادة تشكيل بناء خطابه الشعرى مجسداً تمكنه من ناصية معطيات التراث العربى الذى يضرب بجذوره فى أعماق المتلقى العربى بما يخدم الأبعاد الفنية والنفسية لاستلهاام التراث العربى.

### **مجالات التناص فى ديوان عماد قطرى:**

يلاحظ أن مجالات التناص فى ديوان عشر نساء، متعددة، وأنه استخدم ثلاث تقنيات فنية موظفاً إياها لخدمة رؤيته الشعرية وهى:

1) استخدام النص بلفظه أو بإجراء بتعديل طفيف فى العبارة، مع بروز الرؤية المعاصرة للشاعر.

2) إجراء تحويل مقصود على النص بحيث يدل على ضد مدلوله التراثي.

3) استيحاء روح النص والإشارة إليه دون التصريح به.

### التناص مع القرآن الكريم:

أستلهم عماد قطري بعض آيات النص القرآني الكريم وأجرى معه حواراً ممتطاً في شعره، ومن ذلك:

- تتناصه مع قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَثَقَّفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ (10)

حيث قال عماد:

إنى هنا ..

فاطرد قليلاً عن عيونك ظلها

شرد به هذا النعاس

إنى هنا ..

وإذا كانت المطالبة بالتشريد في الآية الكريمة بالخائنين، فإنها عند عماد بالتشريد بالظل وتبديده.

- وتناص مع بعض المواقع القصصية الواردة في القرآن الكرم عن سيدنا يوسف، عليه السلام، مثل قول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ

وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ (11)

قال عماد:

باعث جميع القضايا  
بكف غليظ على وجهها  
يوم قدوا القميص  
فى المساء  
حدثت جمعنا عن طريق النضال  
عن هموم الرجال وبعض العيال  
ببعض الخطب  
وقال فى قصيدة يا سيدى الشعب ص 73  
أنجوع فى مصر الحبيبة  
والمياه وطننا  
ورجالنا.. ماذا يفيد الصبر  
وعزيز مصر وحزبه  
قدوا قميص الشعب من قُبْل ومن دُبُر  
بل وفى عز النهار  
هم يصنعون دعاية  
بل يزرعون حكاية  
عن قوة.. محض اجترار  
وهم الكبار وثلة ودعاية  
لا تلتفت نحو الدعاية بانهار  
يا سيدى ذهب العزيز مزيف

وعصاه سوس غالها

حق انهيار

وهنا يوظف عماد شخصية العزيز بوصفها شفرة أو رمزاً ليجسد رؤيته الواضحة وموقفه الجلى من السياسة والسلطة.

- وتناص مع قول الله تعالى على لسان إخوة يوسف، عليه السلام: ﴿

فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ (12)

قال عماد فى قصيدة يا سيدى الشعب: ص70

يا سيدى إردب مصر مطفف

والكيل مستوف إذا باعوا الصغار

والغاز يمضى للعدا بخساً

أو يجدى انتظار

والكيل عند عماد مختلف عن الكيل المشار إليه فى الآية الكريمة، فهو كيل من الهوان والذل والصغار، وفى هذا خدمة وتوظيف لرؤية الشاعر المعاصر.

- وتناص مع قول الله تعالى عن السيدة مريم العذراء، عليها السلام ﴿

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً

لِّلْعَالَمِينَ﴾ (13)

فقد قال عماد:

أختها التاسعة

دمعة لأولوة  
حصنت فرجها  
رددت وردها في شجن  
واحتمت بالوطن

### التناص مع الحديث النبوي الشريف:

يلاحظ قلة تأثر شاعرنا بنصوص الحديث النبوي الشريف؛ فلم  
أعثر في ديوانه على تناص مع الحديث إلا مع قول النبي - صلى الله  
عليه وسلم - الآن حمى الوطيس؛ حيث قال عماد: ص 75  
إني سأحمل رايتي..

كفني إذا حمى الوطيس

وهنا يقتبس لفظ النبي الخاص به متحدثاً أن تقع الثورة والحرب،  
فعندها سيحمل كفته بين يديه.

## التناص مع الشعر العربي القديم:

تناص عماد قطرى مع قول المتنبى:

من يهن يسهل الهوان عليه      ما لجرحٍ بميتٍ إيلامٌ

فقال بقصيدة بعض أحوال النجوم، فى مختتم ديوانه ص152

نجمة تنجمك

صوتها يربك

سوطها يلهبك

من يهن..

لا تقل.. ما لجرح ألم

جرحنا- يا بلادى- دم نازف

ما التأم

من يهن.. سوف يبقى أسير العدم

وهنا يرفض عماد ألا يكون لجرح الإهانة ألم، كما يرفض أن

يتعود الشعب المصرى العربى ألم الإهانة فما يزال الجرح لم يلتئم.

## التناص مع النثر العربى:

تناص عماد مع بعض الأمثال العربية: نحوالمثل: ما حك جلدك

مثل ظفرك

فقد قال عماد مخاطبًا الوطن الحبيب مصرص 86:

ما حك الجلد سوى ظفرك

وكأنه يدعوالى إصلاح البيت من الداخل لتصحيح أوضاع الوطن.

- ويتناص مع المثل العربى: إن البغاث بأرضنا تستنثر، فيقول مخاطبًا الأديب على الغريب ص 129:

يا صوت حب من هديل القبرات

إليك عن قصص الجنود المحزنة

هم يرحلون فلا تكن متألمًا

تفنى العناكب والخنافس

والبغاء لتوتة هيفاء ترمى ظلها..

فوق الصبايا الفاتنة

لن يستمر بغائهم فى أرضنا

الصقر آت بالضياء وثورة تفنى المياه الآسنة

وتناص عماد هنا نقيض المثل تمامًا.

- وتتناص شاعرنا مع قول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- إن

السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة؛ حيث قال عماد موظفًا هذا القول فى

سخريته الشعرية المعهودة ص 93:

(يصرخ البيه ذو الصوت ذاك العنيف)

قف هنا وانتظر سوف تلقى السماء الذهب

وهنا يعكس عماد ساخرًا، مقولة عمر، رضى الله عنه.

### التناص مع التراث الشعبي:

يلاحظ كثرة تناص شاعرنا مع عناصر من التراث الشعبي، وكأنه ينغمس في هذا الموروث؛ ليدل على شدة تعلقه بالشعب الذى أطلق عليه لقب السيد أو سيدى الشعب، على حد تعبير عماد قطرى، ومن هذه العناصر:

- دق الطبل فى مواكب الفرح وما يستدعيه من نصوص غنائية وإنشادية؛ حيث قال عماد فى قصيدة تهنئة إلى شعب مصر بفوز المنتخب المصرى بكأس الأمم الأفريقية:

سأمشى فى مواكبكم

أدق الطبل والإيقاع والطار

والشاعر هنا يوظف هذا التناص بأسلوب ملىء بالسخرية والتهكم والمفارقة؛ إذ سيسير فى مواكب الفرحة بفوز الفريق الوطنى لكرة القدم داقًا الطبل وكأنه يتناسى هموم المواطن المصرى البسيط بدءًا من همه بتوفير رغيف الخبز النظيف ومرورًا بالتزاحم فى وسائل المواصلات ثم غلاء الأسعار التى صارت كالنار؛ ومن ثم نجده يردد ساخرًا:

سأنسى فى مواكبكم رغيف الخبز محشواً

بأعقاب ومسمار

سأنسى قصة الطابور والباصات والأسعار كالنار

ويستمر في هذا الأسلوب زاعماً أنه سينسى - والحق أنه لن  
ينسى - الهموم الكبرى المستقرة في ضمير المواطن المصرى تلك  
الهموم القومية والإسلامية؛ فيهدف:

سأنسى قصة الإخوان في غزة  
وأحزن في مساءات الهوى غزة  
.....

سأنسى حجم مأساة  
وأنسى ذل إخوان وقلب العز من جزه؟  
.....

سأرقص من عميق القلب أخطو في فخار  
نحو ميدان العروبة

- الرقص بأعواد من الحطب ورقصة الدبكة وما يصاحبهما من  
نصوص إنشادية وغنائية:

وشاعرنا يستمر في القصيدة نفسها في السير على هذا المنوال  
من التهكم و السخرية في توظيف هذا الملمح الشعبى المتناص معه  
مستغلاً رمز الخيول العربية الدال على الكرامة والعزة التى كادت تضيع  
من الأمة بسبب الإهانات و الخيانات والإهمال والتفريط والظلم؛ حيث  
يقول:

سأرقص مثل ديك مستبد  
وسط آلاف الفراخ  
سأفرح.. أرقص التحطيط وسط خيولنا

هذى التى تمضى بذل تحت أطنان السباخ

.....

سأنسى نقطة التفتيش تصرخ

قف..

ومخبرهم.. يراقبنى.. يناظرنى

.....

سأنسى كل ما كانا

سأنسى رسم حارتنا

وشارعنا.. وعنوانا

سأنسى شكل من خانا

سأنسى رسم إخوتنا

بقاع البحر أمواتنا..

سأنسى موجةً ثارت وشطانا

سأنسى ثلة خانت

وباعت أرضنا بخسًا وعدوانا

سأنسى سجن أحرار

ومذبحة.. وسجانا

سأنسى ماء عزتنا

يداس بألف منطقة

وأنسى دمع صحبتنا وأشجانا

ويسيطر على عماد قطرى الأسلوب الساخر نفسه فى التناص  
مع رقصة الدبكة وما يصاحبها من نصوص إنشادية وغنائية فى يومى  
الحنة والعرس؛ حيث قال فى قصيدة صباح الخير يا غزة:

بأفراحي سأطلق ألف أغرودة

وأرقص دبكة نشوى

بيوم العرس والحنة

**التناص مع ألفاظ التحية:**

أقام عماد قطرى تناصاً مع مجموعة من ألفاظ التحية و  
الترحاب السائرة على ألسنة الشعب المصرى والعربى، مثل:

- صباح الخير، وصباح النور؛ حيث قال:

صباح الخير والأمجاد يا غزة

صباح النور والأحلام والعزة

صباحك سوف يبقى

رغم كل القصف أندى

وهنا أضاف إلى هذه التحية ملامح تبين أحلام الأمة و غزها  
ومجدها.

- أهلاً، وأهلاً وسهلاً؛ حيث قال وهو يحيى المساعيد بمدينة العريش  
فى شمال سيناء بمصر:

أيا نجمة السهد أهلاً..

ومرحى..

لنا البحر والموج والنخل

وقد ختم قصيدة المساعيد بقوله المتناس مع التحية الترحابية  
الشهيرة: أهلاً وسهلاً:

فطبتهم وأهلاً وسهلاً بشمس الوفاء

- حللتهم أهلاً ونزلت سهلاً: والشاعر يتناس مع هذه التحية مع تحويرها  
فى قوله:

أيا خيل ضوء

حللتهم كراماً..

نزلت سهول الفؤاد الموشى

بصدق انتماء

- النشيد الوطنى المصرى؛ تناس عماد مع النشيد الوطنى المصرى  
حيث قال فى قصيدة دماء الشهيد:

هما السارية..

نشيد الوطن

( بلادى.. بلادى.. بلادى )

غير أن الشاعر يوظف إيقاع هذا النشيد ليجسد الواقع المعاصر  
المرير مستبدلاً تركيب دمائي بتركيب بلادى:

وها ليوم عدنا

فماذا وجدنا

سوى سيل وهن وعرى ونوم طويل

( دمائي.. دمائي.. دمائي )

فمن ذا يريد البلاد استحلت فنائي؟

دمائي..

وهل ضاع كل الذين ارتقوا للسماء؟

دمائي..

فمن ذا يعيد البناء

ويلقى الوساخات تحت الحذاء؟

دمائي.. دمائي.. دمائي..

لك الحب يحمى لوائى

- أغنية يا بيوت السويس، للمطرب محمد حمام؛ حيث ألمح إليها عماد  
قطرى متناصاً معها فقال:

وغنى حمام البيوت.. السويس

وهنا نتذكر المقطع الآتى من تلك الأغنية:

يا بيوت السويس يا بيوتنا أنتى

يا بيوت السويس يا بيوت مدينتي

- التتاص مع أغنية فيروز: أعطني الناي وغنى

حيث قال عماد:

(أعطني الناي).. لا.. لا تغنى

فإنا سئمنا الغناء

ليس وقت التفاهات تسمو

ويعلو الغباء

(أعطني الناي).. لا.. لا تغنى

أطلقى النار سيلاً وردى الغزاء

لا تقولى لهم غير هبى.. وهبوا

ولبوا النداء

ليس هذا زمان الغناء

يقتفى الغاصبون الخطى

يقتلون الضياء

لا تغنى.. ليس هذا طريق الحداء

والعصافير حيرى

وكل الطيور انحنت فى المساء

ليس هذا زمان الغناء

وهنا يرفض الشاعر الاكتفاء ببناء الغناء والدعوة إليه ويطالب  
بالدعوة إلى تصحيح الأوضاع داخل الوطن؛ فليس هذا زمن الغناء.

- التناص مع أغنية سعد الصغير: العنب

قال عماد متناصًا مع هذه الأغنية منتقدًا هذا الإسفاف في الغناء  
ص 106:

من زمان نسينا الغناء المصفى

وتهنا بشط الغباوات

نرضى نشازًا وقبحًا من المطرب

يا له من دعى غبى

يا عنب..

" العنب.. العنب.. العنب.. "

وهذا التناص يؤكد رؤية الشاعر الناقدة البصيرة التى تدعو إلى  
البعد عن مثل هذه الأغنيات وهذا النوع من الإسفاف.

## الهوامش

1- انظر: شريل داغر: التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج16، ع1، 1997م، ص12.

2- انظر: إلهام أباغزالة وعلى خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص؛ تطبيقات نظرية روبرت ديوجراندي وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999م، ص35. ومن ثم فالتناص يختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى أو تداخله معها. سعيد بحيري: علم لغة النص؛ المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، ط1، 1997م، ص146.

3- انظر: محمود جابر عباس: استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث، علامات في النقد، مج12، ج46، نادي جدة الأدبي، شوال1423هـ، ص266. أحمد الزعبي: التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون، الأردن، ط2، 2000م، ص11، 12.

4- انظر: إلهام أباغزالة وعلى خليل حمد: نفسه، ص35. صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص232.

5- انظر: محمد بنيس: الشعر العربي الحديث؛ بنياته وإبدالاتها، ج3 الشعر المعاصر، دار توبقال، المغرب، ط1، 1990م، ص183-

185. تزفيتان تودوروف باختين: المبدأ الحواري، ترجمة: فخرى صالح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يونيو 1996م، ص 143-144.

6- انظر: فاطمة قنديل: التناص في شعر السبعينيات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1999م، ص 29. عمر أوكان: مدخل لدراسة النص والسلطة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، 1991م، ص 60.

7- انظر: أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987، ص 47.

8- انظر: فاطمة قنديل: نفسه، ص 93-95.

9- انظر: إلهام أباغزالة وعلى خليل حمد: نفسه، ص 236، 237.

10- الأنفال: 57.

11- يوسف: 25.

12- يوسف: 88.

13- الأنبياء: 91.